



التاريخ: 25/04/2008

الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسلة قوانين القرآن))

((سنن الله في الرزق))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأذكركم بالموت، عما قريب نحن ذاهبون أيها الإخوة...

لقد تخطانا الموت وذهب إلى غيرنا وقريباً سيتخطى غيرنا ويأتي إلينا ونحن إذا حملنا ووضعنا في قبورنا ليس هناك إلا الحسنات والسيئات...

إنه من ﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿﴾ (٨) [الزلزلة]

فقدموا لأنفسكم... ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (I37) ﴿ آل

عمران]

وقال ربنا : ﴿ فَهَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا سُنتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ

تَحْوِيلًا ﴾ (43) ﴿ فاطر]

نحن في الخطبة الخامسة عشرة من سلسلة السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن...

في القرآن قوانين، نواميس، قرارات تحكم الكون كله، إذا أدت مقدماتها نلت نتائجها، إن فهمنا على الله قوانينه سعدنا في الدنيا والآخرة، إن التزمنا قوانين القرآن الكريم نجونا في الدنيا والآخرة، وإن أهملنا القوانين فإنه غلبة، لا تغالبوا قوانين الله فإنه غلبة ولن يمضي في الكون إلا قانون الله تعالى... لهذا كانت هذه السلسلة من الخطب....

تحدثنا (لماذا هذه السلسلة)، وتكلمنا عن (السنن الإلهية في التغيير)، و(في النصر)، و(في الابتلاء)، و(في الذنوب والسيئات)، و(في الإيمان والعمل الصالح)، و(في الحياة الطيبة والمعيشة الضنك)، و(في ﴿ الصُّلَحُ خَيْرٌ ۝ (I28) ﴾ [النساء]، و(في تحصيل الألفة والمحبة)، و(في

﴿ عَاقِبَةُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (I32) [طه]، و(في البقاء للأمنع)، و(في قوله: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا

بِأَهْلِهِ ۝ (43) ﴾ [فاطر]....

وعنوان خطبة اليوم: السنن الإلهية في الرزق في رزق العباد...

ما القوانين النازمة لرزق العباد على هذه الأرض!!؟

الرزق: هو العطاء أو هو ما ينتفع به، والرزق رزقان: رزق الأبدان بالأطعمة والأقوات، ورزق القلوب والنفوس بالمعارف والعلوم والمكاشفات وهذا أشرف الرزقين.

وإني قرأت في القرآن الكريم من السنن الإلهية في رزق العباد هذه السنن الأربعة أقدمها لكم في هذه الخطبة...

السنة الأولى: الرزاق هو الله وحده...

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (58) [الذاريات] كانت العبارة تستقيم

لو أن الله تعالى قال: إن الله الرزاق ذو القوة المتين...

لكنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ (58) [الذاريات] هذه هو الرزاق جملة اسمية معرفة الطرفين تفيد عند أهل اللغة الحصر...

ومعنى الآية: إن الله هو الرزاق حصراً وحده هو الرزاق لا يشاركه في الأمر غيره...

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

(6) [هود] أداة الاستثناء إلا إذا سبقت بنفي أيضا تفيد الحصر والآية تقول:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (6) [هود] والمعنى: ما من مخلوق يدب على

هذه الأرض إلا على الله وحده رزقه غذاؤه ومعاشه فالرزاق هو الله وحده...

﴿وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (60) [العنكبوت]

والرزاق: اسم من أسماء الله تعالى، وهو صيغة مبالغة من الرازق، يعني: أن الله كثير الرزق،

يرزق عباده ولو كانوا كثيرين جميعاً...

أو هو الذي يرزق عبداً رزقاً كثيراً فهو جل جلاله إذا أعطى أدهش، وقالوا:

الرزاق: من خصَّ الأغنياء بوجود الأرزاق وخص الفقراء بشهود الرزاق، وأحصى العبادة من جمع له الوجود والشهود. وجد عنده رزق كثير وشهد أن الرزاق هو الذي أرسل له هذا الرزق.

وقالوا: الرزاق هو من يرزق عباده القناعة.

وإذا كان الله تعالى هو الرزاق وحده فطلب الرزق منه وحده لا من غيره ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ

الرِّزْقَ ۝ (17)﴾ [العنكبوت] وعلى العبد التذلل له لا غيره، وعلى العبد الانكسار له لا لغيره، وعلى العبد السؤال منه لا من غيره...

قال الصالحون: من عرف الله ثم رجع عند حوائجه إلى سواه، ابتلاه الله سبحانه بالحاجة إلى الخلق ثم نزع الرحمة من قلوبهم نحوه.

وقالوا: من أدب العبودية أن يرجع العبد إلى ربه في طلب كل ما يريده.

ألم تر إلى موسى عليه السلام طلب الرؤية من رب العالمين وهي أعلى المقامات ﴿قَالَ رَبِّ

أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۝ (143)﴾ [الأعراف]

ولما جاع طلب منه الرغيف ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)﴾ [القصص]

فطلب النفيس والخسيس من الله تعالى...

دعا الشيخ أبو العباس المرسى وهو شيخ ابن عطاء الله السكندري فقال:

اللهم إني أسألك الرزق الهني الذي لا حجاب به عنك في الدنيا ولا حساب عليه في الآخرة...

السنة الأولى والقانون الأول: الرزاق هو الله وحده...

السنة الثانية: اختلاف العباد في أرزاقهم فقراً وغنى سنة الله في عبادته لمصلحتهم...

من المصلحة أن يكون ناس فقراء وأن يكون ناس أغنياء.... من عمارة الكون أن يختلف الناس في أرزاقهم.

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۚ ﴾ (32) [الزخرف] يعني ليستخدم بعضهم بعضاً، ليعمل بعضهم عند

بعض... ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (32) [الزخرف]

قال قتادة : تلقى العبد ضعيف القوة قليل الحيلة عبي اللسان وهو مبسوط له، وتلقاه شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه...

فاضلنا بينهم ليسخر الأغنياء الفقراء فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض هذا بماله وهذا بأعماله، فيلتزم قوام أمر العالم.

قال الإمام الرازي في تفسيره: واعلم أن هذا التفاوت بين الناس غير مختص بالمال، بل هو حاصل في الذكاء واللبادة وفي الحسن والقبح وفي العقل والحمق وفي الصحة والسقم...

وهذا بحر لا ساحل له وقد كنت مصاحباً لبعض الملوك في بعض الأسفار وكان ذلك الملك كثير المال والجاه، وكانت الجنائب الكثيرة تقاد بين يديه -الأحصنة الحسنة- وما كاد يمكنه ركوب واحد منها، وربما حضرت الأطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده وما كان يمكنه تناول شيء منها، وكان الواحد منا صحيح المزاج قوي البنية كامل القوة وما كان يجد ملء بطنه طعاماً...

فذلك الملك وإن كان يفضل على ذلك الفقير بالمال إلا أن هذا الفقير كان يفضل على ذلك الملك بالصحة والحال...

فالعباد متساوون في المواهب، يعطى أناس المال، ويعطى أناس التدبير، ويعطى أناس الصحة، ويعطى أناس السلامة، وهذا باب واسع إذا اعتبره الإنسان عظم تعجبه منه...

وهذا التفاوت بين العباد غنى وفقراً لمصلحتهم إذ أن من العباد من لا يصلحه إلا الفقر وإن من العباد من لا يصلحه إلا الغنى...

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

(27) ﴿[الشورى]﴾ فلو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم جميعاً لهلكوا، والحكمة أن يغني بعضاً ويفقر بعضاً، والراحة كلها في الرضا بالمقسوم...

يا أيها الإخوة لقد مرت أنظمة على هذا العالم تريد أن تجعل الناس متساويين في المستوى المعاشي، تريد أن تجعل الناس متساويين في الأرزاق، لكن هذه الأيديولوجيات سقطت وانهارت من داخلها لأنها خالفت سنة الله في خلقه في اختلاف العباد في أرزاقهم بين غني وفقير...

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (II8) ﴿[يوسف]﴾

سنة الله تعالى أن يكون في العباد فقراء وأغنياء لمصلحتهم ولإعمار هذا الكون، وهذه هي السنة الثانية فيما يتعلق بالأرزاق...

السنة الثالثة في رزق العباد: إغناء الله عبداً ليس دليل رضا، وإفقار الله عبداً ليس دليل سخط...

فكم من كفار وعصاة يتقلبون في الثراء ليزدادوا به كفراً وطغياناً...

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (I96) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

(I97) ﴿[آل عمران]﴾

و ((00لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة ماء أبداً)) [ابن ماجه] وكم من عباد صالحين بل أنبياء ومرسلين طاف بهم الفقر والجوع، إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا من أحب...

وربما حصل العكس فأغنى الله الصالحين وأفقر الطالحين، فالغنى ليس دليل رضا والفقر ليس دليل سخط...

بل كلا الأمرين الفقر والغنى اختبار وامتحان لننظر وينظر الله تعالى ماذا يفعل الفقراء وماذا يفعل الأغنياء...

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۝﴾ (I65) ﴿[الأنعام] يعني ليختبركم، فمن اتقى الله تعالى في غناه أو في فقره فله الرضا، ومن عصى الله تعالى في غناه أو في فقره فعليه السخط.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَتَعَمَّهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (I5) ﴿[الفجر]

يقول هذا دليل أن الله راض عني لذلك أعطاني مالا كثيرا...

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَتَعَمَّهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (I5) ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (I6) ﴿كَلَّا ۝﴾ (I7) ﴿[الفجر]

قال الله تعالى هذه المحاكمة ليست صحيحة الغنى ليس دليل رضا والفقر ليس دليل سخط...

وعن عبد الله بن مسعود قال : دخلت على النبي صلى الله عليه و سلم وهو في غرفة كأنها بيت حمام وهو نائم على حصير قد أثر بجنبه فبكيت فقال : " ما يبكيك يا عبد الله ؟ " . قلت : يا رسول الله كسرى وقيصر يطوون على الخبز والديباج والحرير وأنت نائم على هذا الحصير

قد أثر بجنبك ؟ فقال : " فلا تبك يا عبد الله فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة وما أنا والدنيا وما مثلي ومثل الدنيا إلا كمثل راكب نزل تحت شجرة ثم سار وتركها " [الطبراني]

السنة الثالثة: إغناء الله عبداً ليس دليل رضا وإفقاره ليس دليل سخط...

المرضي من اتقى الله تعالى إن كان غنياً أو فقيراً، وصاحب السخط من عصاه إن كان غنياً أو كان فقيراً...

السنة الرابعة والأخيرة في رزق العباد: تقوى الله تعالى توسع الأرزاق.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (3)﴾ [الطلاق]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه)) [أحمد و الحاكم]

فمن المعاصي الغصب والنهب والسلب والرشوة والغلول والسرقة والقمار والربا...

ومن تقوى الله ترك الاحتكار والغش والتلاعب بالوزن، وترك تزوير منشأ البضاعة، وترك إخفاء العيوب عن المشتري، وترك استغلال جهل المشتري بالأسعار أو جهله بالأنواع...

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (3)﴾ [الطلاق]

من المعاصي الكذب والغيبة والنميمة والسب واللعن والحلف الكاذب وشهادة الزور...

ومن تقوى الله تعالى: ترك الكلام الحرام والنظر الحرام والمال الحرام...

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (3)﴾ [الطلاق]

من المعاصي كشف العورات وهتك الأعراض وخروج النساء إلى الطرقات كاسيات عاريات..

ومن تقوى الله غض البصر وحفظ الفرج ومراقبة الله تعالى...

وكلما قل ماء الحياء، قل ماء السماء... وكلما رخص لحم النساء غلى لحم الضأن...

﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (3) [الطلاق]

وإن من الأمور التي توسع الأرزاق وهي من تقوى الله تعالى: التبكير إلى العمل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بورك لأمتي في بكورها)) [الترمذي و الطبراني]

ومن الأمور التي توسع الأرزاق وهي من تقوى الله تعالى: كثرة الاستغفار.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ فَرْجٍ وَرَجًا وَمِنْ

كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)) [أبو داود و بن ماجه و البيهقي]

ومن الأمور التي توسع الأرزاق وهي من تقوى الله تعالى: صلة الرحم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ،

فَلْيَصِلْ رَحْمَةً)) [البخاري ومسلم]

ومن الأمور التي توسع الأرزاق وهي من تقوى الله تعالى: الشكر والحمد.

قال الله تعالى: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ۝ (7)﴾ [ابراهيم]

ومن الأمور التي توسع الأرزاق وهي من تقوى الله تعالى: قراءة سورة الواقعة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا)) [أبو

يعلى و البيهقي]

ومن الأمور التي توسع الأرزاق وهي من تقوى الله تعالى: الزواج.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ

مِنْ فَضْلِهِ ۖ ۝ (32)﴾ [النور]

ومن الأمور التي توسع الأرزاق وهي من تقوى الله تعالى: الصدقات والنفقات في سبيل الله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ غَافِلٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ﴾ (39) ﴿سَبَّأً﴾

وبالإجمال أيها الإخوة تقوى الله تعالى، فعل المأمورات وترك المنهيات توسع الأرزاق. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ

اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (3)﴾ [الطلاق]

أيها الإخوة الكرام هذه هي سنن إلهية أربعة في الرزق:

- الرزاق هو الله تعالى وحده.
- اختلاف العباد في رزقهم فقرا وغنى سنة الله في العباد لمصلحتهم.
- إغناء الله عبدا ليس دليل رضا وإفقاره ليس دليل سخط.
- تقوى الله تعالى توسع الأرزاق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن روح القدس نفث في روعي فأَن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله فأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية فإن الله

تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته)) [الحاكم]

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين أستغفر الله...